

التسارع ومشروع نظرية نقدية معاصرة عند "هارتموت روزا" Acceleration and a Project for a Contemporary Critical Theory in Hartmut Rosa

هشام معافة،

جامعة قسنطينة 2- عبد الحميد مهري،

hichem.maafa@univ-constantine2.dz

تاريخ القبول: 2025/11/24

تاريخ الاستلام: 2025 /09/06

ملخص:

غرضنا من هذا المقال هو تتبع مشروع "هارتموت روزا" الذي يهدف إلى التأصيل لنظرية نقدية معاصرة تستثمر مفهوم التسارع الاجتماعي كعنصر جوهري للممارسة النقدية. فلا يمكن فهم الحداثة وعمليات التحديث دون تحليل لظروف التفاعل الاجتماعي، وبشكل خاص تحليل تغييرات البنى والنماذج الزمنية داخل المجتمع. لقد استحال التسارع إلى ظاهرة شمولانية *totalitarisme* يمارس ضغطاً موحداً على الذوات الحداثية، ويحول علاقتنا الإنسانية بذواتنا وبغيرنا من الناس والمجتمع والزمان والمكان والطبيعة والجمادات، أي علاقتنا بالعالمين الذاتي والموضوعي. وهذا ما تغافلت عنه النظرية النقدية السائدة، إذ لم تعد كافية لتحليل المجتمع المعاصر وفهم وتيرة تسارع الحياة الاجتماعية، لذلك يتوسل "هارتموت روزا" بمفهوم "الحياة الجيدة" *la vie bonne*، فلا يمكن أن نكون فاعلين كبشر إلا إذا كانت لدينا فكرة نقدية عن وجهتنا وما يشكل حياة جيدة، والانطلاق من معاناة أفراد حقيقيين داخل الظروف الاجتماعية المهيمنة من طرف التسارع الذي يؤثر في كل صور التفاعل الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: تسارع، نظرية نقدية، تواصل، اعتراف، حادثة متأخرة.

Summary :

The purpose of this article is to trace Hartmut Rosa project, which aims to establish a contemporary critical theory that invests in the concept of social acceleration as an essential element of critical practice. Modernity and modernization processes cannot be understood without analyzing the

conditions of social interaction, and particularly analyzing the changes in structures and temporal patterns within society. Acceleration has become a totalitarian phenomenon. exerts a unified pressure on modern subjects, transforming our human relationship with ourselves, with other people, with society, with time, with space, with nature, with inanimate objects ,that is, our relationship with the subjective and objective worlds. This is what the prevailing critical theory has overlooked, as it is no longer sufficient to analyze contemporary society and understand the accelerating pace of social life. Therefore, Hartmut Rosa uses the concept of "the good life. We cannot be effective as human beings unless we have a critical idea of our destination and what constitutes a good life, starting from the suffering of real individuals within the social conditions dominated by acceleration that affects all forms of social interaction

Keywords: Acceleration, critical theory, communication, recognition, late modernity.

هشام معافة ' hichem.maafa@univ-constantine2.dz

أولاً. مقدمة:

يُطالعنا "هارتموت روزا"¹ "Hartmut Rosa" (1965 -) أن المهمة التي وضعها على عاتقه هي إعادة صياغة نظرية نقدية جديدة تجعل من ظاهرة التسارع أولوية في التحليل الاجتماعي النقدي داخل المجتمع الحداثي المتأخر. وقد سخر لتحقيق هذا الهدف عدة نظرية ومفاهيمية أثمرت نحتة لمفاهيم جديدة تُلخص مشروعه الضخم الذي رسم معالمه الأولى منذ نشره لكتابه الرئيس "التسارع، نقد اجتماعي للزمن" "Accélération. Une critique sociale du temps"، مثل التسارع والاعتراب والتصادي. لذلك يتبدى مشروعه كسوسيولوجيا غرضها صياغة نظرية نقدية معاصرة تقوم على تحليل وصفي ونقدي قلق تجاه واقع المجتمعات الحداثية الراهنة. على ذلك لا يحيد "روزا" عن الدرب نفسه الذي سلكه رواد المدرسة برسمه لمعالم مشروع جديد غرضه الكشف عن تناقضات الحداثة الغربية المتأخرة. بيد أنه، رسم لنفسه مساراً متميزاً من خلال الأهمية المركزية التي منحها لظاهرة التسارع في نظريته الاجتماعية عن الحداثة. وترجع هذه الأهمية الى كون كل فهم للحداثة وسيرورات التحديث لا يتحقق إذا لم نركز اهتمامنا حول تحليل تغييرات البنى والنماذج الزمنية داخل المجتمع. وهذا ما غفلت عنه النظرية النقدية السائدة، إذ لا يسعنا فهم ما يميز الحداثة إذا لم نرهف أسماعنا للحركية المتسارعة المبطنة في قلب المجتمع الحديث. والسؤال الذي نطرحه كاشكالية لهذا المقال هو: كيف يمكن التأسيس لنظرية نقدية معاصرة تتخذ من التسارع الاجتماعي وظروف الفاعل الاجتماعي أساساً لها؟

ثانياً. "التسارع" ومعضلات الحداثة المتأخرة:

لعلنا نتبين أهمية التسارع في حقيقة أن المجتمع الحديث غير منتظم وفقاً لقواعد معيارية واضحة، بل ينتظم تبعاً لقوة معيارية صامتة، أو بالأحرى خفية، ذات صلة بالمعايير الزمنية التي تتجلى في صورة مواعيد وأجال نهائية، أو في شكل جداول وحدود زمنية، وهي تحكم وجودنا وتوجه نمط حياتنا داخل المجتمع دون أن نعي ذلك بوضوح، على نحو أضحت قوى التسارع ظاهرة كلياينة "totalitarisme" أو شاملة متغلغلة في كل الظواهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، تمارس ضغطاً موحداً على الذوات الحديثة²، بحيث يُحوّل النظام الذي يحكم تسارع الحداثة علاقتنا الإنسانية بالعالم ليصير مجرد وسيلة في يد ذات متضخمة، أي علاقتنا الإنسانية بالبشر الآخرين والمجتمع، وعلاقتنا بالمكان والزمان، وبالطبيعة وعالم الجمادات أو العالم الموضوعي. وبالمحصلة يُحوّل التسارع مختلف أشكال الذاتية الإنسانية (أي علاقتنا بالعالم الذاتي) و"وجودنا في العالم". وهذه واحدة من أهم مغبات التسارع وعواقبه.

عند هذه النقطة يضع "هارتموت روزا" يده على أهم مفارقة من مفارقات المجتمعات الحداثية المتأخرة، ومهمة النظرية النقدية تحديداً هي الكشف عنها وعن أشكال الاغتراب التي تغرف عنها، ومعالجتها في نهاية المطاف. فلئن كان ما يعد به المشروع الحداثي وعصر التنوير هو بلوغ فكرة التحديد الذاتي، أو بعبارة أخرى تحقيق وعد الاستقلال الفردي والجماعي، يجد الفرد نفسه منقاداً داخل سيرورة حوادث وأفعال دون أن يختارها، فعلى الفلسفة الاجتماعية أن تسترعي انتباهها لعملية تفلت من السيطرة، ظلت حتى اللحظة مُتجاهلة تقريباً بشكل كلي من طرف منظري "الحياة الجيدة" "la vie bonne" ومبادئ المجتمع العادل وأمراض الحياة الحديثة.

لا نماري في أن ما يميز المجتمعات الحداثية المتأخرة هو ظاهرة التسارع، فبينما يمر الوقت بسرعة كبيرة بحيث أضحى الزمن سلعة نادرة، يتقلص المكان -في المقابل- أكثر فأكثر. إن التحدي الذي يعايشه الفرد في هذه المجتمعات يتجاوز المكاني إلى الزماني، فمهما كانت المدينة التي نستقر بها كبيرة فهي تتقلص كرقعة جغرافية وتفقد طابعها كمساحة شاسعة، ويلفي الفرد ذاته في صراع، لا مع المحددات والعوائق المكانية، بل ضد الجداول الزمنية وأوقات الاتصال والتأخيرات، وتفقد اذاك المساحة أولويتها وأهميتها داخل الأعمال والتفاعلات الاجتماعية نتيجة لتعاظم دور -وهذه عبارة "هارتموت روزا"- الوسائط الحديثة التي تتيح القيام بالأعمال اليومية حتى أثناء الرحلات³. فضلاً عن ذلك، من العضلات الكبرى التي تهدد بتمزيق الاطار المادي الفيزيائي (المكاني) للعلاقات الاجتماعية والانسانية، أن التقارب المكاني لم يعد ضرورياً للحفاظ على علاقات اجتماعية وثيقة، ومنذ اللحظة التي لم يعد يتوقف فيها التقارب الاجتماعي والعاطفي على المسافة المكانية، ينتج عن ذلك أثر بالغ ليس على العلاقات الاجتماعية التي ينشؤها الأفراد فحسب، بل، أيضاً، على البنى الأساسية للعالم الاجتماعي. وهذا الأمر قد يجعل رؤيتنا لذواتنا وهويتنا الذاتية غريبة تماماً عنّا (فقدان الذات واهتراء الهوية الثابتة)، في الوقت الذي يكون فيه الشخص الموجود في الجانب الآخر من العالم شريكنا الأقرب. هذا من جهة، ومن جهة أخرى يؤدي التعاظم الهائل للعلاقات والروابط الاجتماعية التي يُنشئها الأفراد بفضل التسارع الناتج عن تنامي وسائل الاتصال الحديثة، إلى ما يدعوه "هارتموت روزا" بـ"الوجود المتشبع" "etre saturé". وهو مصطلح استلهمه "روزا" من "كينيت جيرجن" "Kennet Gergen" (1934-) و"جورج زيميل" "Georges simmel" (1858-1918) في "تأملاته حول الحياة الحضرية" (1903) "la vie métropolitaine"، ومؤداه أننا نصادف العديد من الناس،

وُنشئ شبكات تواصل واسعة، لدرجة أنه يُصبح من شبه المستحيل الشعور بالارتباط العاطفي بمعظمهم، ومن النادر جدًا أن نلتقي بشخص يكون قد شهد مجمل حياتنا الشخصية وواكبها، وهذا أيضًا لديه عواقب على الأشكال الحديثة للهوية الذاتية⁴.

بدأ "هارتموت روزا" تحليله بتوصيف العالم الذاتي أولاً، وانطلق من مسلمة أولية يعتبر بموجبها أن المعايير البنيوية والثقافية التي تُحدد العالم الاجتماعي تتغير بسرعة أكبر من وتيرة التبادلات بين الأجيال المختلفة، والشاهد على ذلك أن العالم الاجتماعي لم يعد مستقرًا حتى خلال دورة حياة الفرد، وهذا التسارع في التغيير لديه عواقب وخيمة على نماذج الهوية الذاتية السائدة. كيف ذلك؟ يجيب "هارتموت روزا" معتبراً أن الشكل "الكلاسيكي الحديث للهوية، القائم على "خطة حياة" فردية ومستقلة مبنية على "تقييمات قوية" قادرة على توجيه مسار الحياة، قد استبدل في المجتمع الحداثي المتأخر بأشكال جديدة من "الهوية الظرفية" التي تُفضل الطابع المؤقت لكل ما يحدد الخصائص المستقلة للهوية الذاتية، ولم تعد تحاول اتباع خطة حياة بل تخضع للصدفة وتنجذب للظروف التي تنخرط فيها لتأخذها وتنفاد فيها، أو بالأحرى تعمل على "مواكبة حركة الأمواج" بمجرد أن تُتاح فرصة جديدة على المرء أن يكون مستعداً لاغتنامها، كم هو الفرق بين السباحة عمداً نحو نقطة في المحيط - التحكم في الأمواج للوصول إلى هدفك - والطفو بانسجام مع الحركات غير المتوقعة للأمواج"⁵.

ينتقل "هارتموت روزا"، بعد العالم الذاتي، إلى تحليل العالم الموضوعي، لقد غيّرت الزيادة المتنامية في سرعة الإنتاج -بشكل جذري- العلاقة بين البشر ووسطهم المادي أو عالم الأشياء؛ فنحن نميل الآن، وبوتيرة متزايدة، إلى تجديد البنى المادية لعالمنا المعيش مثل الأثاث والمطابخ والسيارات والحواسيب،

وطرقنا في اللباس والطعام، ومظهر مدننا ومدارسنا ومكاتبنا، والأدوات والآلات التي نستعملها في العمل... إلخ، لدرجة أننا نستطيع تقريباً الحديث عن "بنى تستهلك لمرة واحدة" "structures jetables". كل هذا خلافاً لعالم ما قبل الحداثة؛ لقد كانت الأشياء تُستبدل عند تلفها فحسب، كانت تُستبدل في الغالب بنسخ متطابقة تقريباً. وكما أشار "كارل ماركس" قبلاً، لقد حل الاستهلاك المعنوي - في العالم الحديث - محل الاستهلاك المادي، إننا نستبدل الأشياء قبل أن تتلف بوقت طويل من اهترائها أو انقضاء عمرها المادي، لجهة أن سرعة الابتكار الكبيرة جعلت منها أشياء عتيقة غير مواكبة للعصر. وبهذا المعنى، تتغير، نتيجة للسرعة المتزايدة للحداثة، علاقتنا بعالم الأشياء بشكل عميق⁶.

لا يقف "هارتموت روزا" عند هذا الحد، بل يذهب الى أبعد من ذلك، عندما يبدأ الحديث عن تطور قدرتنا على استكناه تاريخ سِيرِنَا الذاتية والجمعية داخل سيرورة التسارع. والواقع، يكشف لنا هذا التحليل عن عبقرية فذة وقدرة فائقة على تحليل التغير الاجتماعي وفهمه في علاقته بالتسارع. يعتقد "روزا" أن الحداثة الكلاسيكية قد بدأت حينما كان التغير الاجتماعي سريعاً بما يكفي ليلاحظ جميع الفاعلين الاجتماعيين اختلاف الماضي عن الحاضر وتوقع مغايرة المستقبل للحاضر. لذلك، يتبدى التاريخ على أنه له اتجاه، وتتخذ السرديات التاريخية شكل تاريخ التقدم. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، تبدأ الحداثة المتأخرة حينما تبلغ سرعة التغير الاجتماعي وتيرة من التحول بين الأجيال: حيث يحل انطباع التغير العشوائي أو المتقطع أو المضطرب محل مفهوم التقدم أو التاريخ الموجه؛ ويعيش الفاعلون الاجتماعيون حياتهم الفردية والسياسية بشكل غير مستقر دون اتجاه، كما لو كانوا في حالة من الحركة المفرطة. بوسعنا أن نلاحظ هذا التغير - على المستوى

الفردى- فى المآداثاا القصصىة حىنما ىروى الناس حىاآهم المهنىة أو العائلىة؁ وآغىىرهم لمآل اقامآهم ومعتقداآهم؁ كسلسلة من الآلقات غىر المترابطة بآلاً من إنتاآ سردىة قصصىة آآضع لمنطق الآآآم الآطى والنمو. ولعلنا نآرك الأمر بشكل أكثر إآارة فى المآال السىاسى؁ ىبآو أن شعورنا بالآسلسل الآارىخى "السلىم لآآور الآواآا أصآى هو الآخر موضع آساؤل⁷.

بآذا الآعآبار ىُنآآ الآسارع الآآآماعى مفاهىم وآصوراآ مسآآآة عن الزمان والمكان؁ وأشكال آآىة من الآفاعل الآآآماعى؁ وأنماطاً مسآآة من الآاآىة؁ وىُغىر؁ اآاك؁ وآضىة البشر فى العالم وطرق آآركهم وآآآهم الآاى فى آاآله. ىبآ أن؁ مآل آذه الآغىراآ آآمل بوضوح فى طىاآها إمكانية نشوء أمراض آآآماعىة⁸؁ أو بالآآرى آآوراآ مُقلقة تُسبب معاناةً إنسانىةً أو آعاسة.

وىنآهى "آرآموآ روزا" من آلال آآلىله لمىكانزماآ عمل قوى الآسارع الآفىة آاآل العالمىن الآاآى والموضوعى؁ الى القول : "بصىآى مُنآَراً نقآىاً؁ أوآُ الآن أن أآآه الى هؤلاء؁ لأننى أعآآآ أن إآآى المآام والمسؤولىاآ الرئىسىة للمُنآَرىن الآآآماعىىن هى آآآى مصادراآ المعاناة الآآآماعىة"⁹. وهآه آآآىاً المآمة الآى نآب "روزا" نفسه لآآقىقها من آلال مشروعه الضآم الذى اآلق علىه اسم "نآآ الآآاآة المآآآرة".

آالآاً: "آآىة الآىة" أساس لكل نظرىة نقآىة:

راىنا أعلاه؁ أن آآف "آارآموز روزا" هو وصف الشروآ النظرىة النقآىة للآسارع الآآآماعى؁ أو بالآآرى آراسة الشروآ الأساسىة لנסآة معاصرة من النظرىة النقآىة؁ آآون وفىة للمقاصآ الأصىلىة للآباء المؤسسىن لآذا الآقلىآ - من "ماركس" "Marx" (1818- 1883) إلى "هوركهاىمر" "Horkheimer" (1895- 1973)؁ مروراً بأآورنو "Adorno" (1903- 1969)

و"ماركوز" "Marcuse" (1898-1979)، وصولاً إلى "هابرماس" "Habermas" (1929-) و"أكسيل هونيث" "Axel Honneth" (1949-) - دون أن تتقيد بالاعتبارات والمبادئ المنهجية التي لم تكن قابلة للمراجعة والقدح من قبل مؤسسي مدرسة فرانكفورت، لأنها لم تعد كافية لتحليل المجتمع المعاصر وفهم وتيرة تسارع الحياة الاجتماعية. وهذه في الواقع إحدى بصائر النظرية النقدية ومسلماتها المنهجية، أي الاعتقاد بأن الطريقة، وحتى الحقيقة، مشروطة تاريخياً؛ فلا توجد حقيقة غير تاريخية، وجميع أشكال التحليل النظري ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأشكال المتغيرة للممارسة الاجتماعية. لذلك لا نُماري في كون هذه البصيرة مصادرة ذات أهمية جوهرية لهذا التقليد الفكري، إن المناهج الجديدة في النظرية النقدية لا يمكن أن تكون مجرد اتباع أو تكرار أعى لأفكار منهجية ونظرية سابقة.

يعتقد "هارتموت روز" أن جوهر أي نسخة معاصرة عن النظرية النقدية، والتي يعمل جاهداً على التأسيس لها في مشروعه الضخم "نقد الحداثة المتأخرة"، يكمن في الدراسة النقدية للممارسات الاجتماعية في ضوء تصورات "الحياة الجيدة" التي يتبناها الفاعلون الاجتماعيون أنفسهم. و"روز" لا يخفي أنه قد استلهم نظريته النقدية وقناعاته الفلسفية إلى حد كبير من أعمال الفيلسوف الكندي "تشارلز تايلور" "Charles Taylor" (1931-)، ومؤداها أن البشر يسترشدون، في أفعالهم وقراراتهم، دائماً بتصور -قد يكون واعياً أو ضمناً وغير مترابط- عن الحياة الجيدة¹⁰. فلا يمكننا أن نكون فاعلين كبشر إلا إذا كانت لدينا فكرة نقدية عن وجهتنا وما يشكل حياة جيدة، لا الانطلاق من تصور مبتذل للطبيعة البشرية وجوهرها، بل من معاناة أناس حقيقيين تضرب بجدورها داخل الظروف الاجتماعية. فالظروف الاجتماعية التي تدفع البشر إلى تتبع تصورات الحياة الجيدة، والتي لا ينجحون البتة في

بلوغها تحت هذه الظروف نفسها، يجب أن تكون هذه الظروف ذاتها هدفًا جوهرياً للنقد الاجتماعي. لذلك يعتقد "هارتموت روزا"، أن أفكاراً من قبيل: الحرية والاستقلال (الفردية والجماعية) مفهومة بمعنى تقرير شكل الحياة التي نريدها، والنضال من أجل التحرر من العوائق السياسية والبنوية والمؤسسية لتحقيق هذه الاستقلالية، والتي كانت دائماً أفكاراً مركزية داخل تقاليد النظرية النقدية، لا يجب تبريرها بالاعتماد على أسس معيارية كونية¹¹: إن وعد الاستقلالية والتحديد الذاتي أو تقرير المصير، وفكرة أن الأفراد يجب أن يكون لديهم الحق لاكتشاف أسلوب حياة يتوافق بشكل أصيل مع رغباتهم وطموحاتهم وقدراتهم، وأنه من أجل هذه الغاية يجب أن ينتظم المجتمع السياسي ديمقراطياً ليسمح بتشكيل سياسي مشترك للمجتمع. هذه الأفكار تكمن في قلب الحداثة، وتشكل – إذا استعدنا عبارة "هابرماس" – لب "مشروع الحداثة"، وعليه، فإن الظروف الاجتماعية التي تقوض قدرتنا على التحديد الذاتي، والتي تقوض إمكاناتنا في الاستقلالية الفردية والجماعية، ينبغي تحديدها ومساءلتها نقدياً لأنها تمنع الناس بشكل منهجي من تحقيق مفهومهم عن الحياة الجيدة.

بوسع هذه المقاربة المتبعة، أن تستجيب – وهذه عبارة "روزا" – لشرطين آخرين من شروط النظرية النقدية: أولاً، نلفي أنها توافق مع معيار "التعالوي الدنيوي" "transcendence intramondaine" الذي صاغه مثلاً "أكسل هونيث". تبعاً لهذا المعيار، لا يزال لدى الفاعلين الاجتماعيين أنفسهم فكرة عما يمكن أن يكون عليه نموذج الحياة والمجتمع الأفضل، ويظهرون حساسية تجاه الأمراض التي يسعى المنظر النقدي إلى تحديدها، بل ويظهرون حتى معرفة بعض الطرق الممكنة للتغلب عليها في ممارساتهم اليومية. وذلك لأنه من غير المعقول أن تنفصل مفاهيم الخير عن الممارسات اليومية للفاعلين الاجتماعيين

لفترة طويلة جداً –الا اذا كانوا يعيشون في نظام من القهر المحض. خلافاً لذلك تماماً، عادةً ما تجترح المؤسسات والبنى الاجتماعية شرعيتها بالاعتماد على مفاهيم "الحياة الجيدة" التي تعطي للفاعلين الاجتماعيين معنىً لأفعالهم. لهذا السبب تُبقي النظرية النقدية التي يعمل "هارتموت روزا" على صياغة نسخة معاصرة عنها، على مفهوم الحياة الاجتماعية باعتبارها كيانية أو كونية، بمعنى مفهوم عن مجتمع منظور ككل مُوحَّد: لقد أدرك، ليس فقط الليبراليون الجدد، ولكن أيضاً العديد من البنيويين وما بعد البنيويين والتفكيكيين، مؤخراً حقيقة أنه بوسعنا استكناه المجتمع اجتماعياً باعتباره تكويناً متكاملًا تحكمه بعض القوانين والبنى الموحدة، وهذا ما يعكس مقولة "مارغريت تاتشر" "Margaret Thatcher" (1925-2013) الشهيرة بأنه: "لا يوجد شيء مثل المجتمع"، ولكن فقط عدد لا يحصى من الأفراد (أو العائلات) والأفعال المتناقضة"¹². لقد دافعت النظرية النقدية دائماً عن كون البنى والمؤسسات والأفعال تشكل وحدات متكاملة، أو تكويناً اجتماعياً، ومهمة النظرية النقدية، تحديداً، هي اكتشاف وتحليل القوانين والقوى التي تحكم هذه التكوينات بشكل نقدي. لذلك، فإن واحدة من مزايا النظرية النقدية عن التسارع الاجتماعي هي قدرتها على تفسير تحول أنظمة الإنتاج والاستهلاك في عصر الحداثة (من بدايات الحداثة إلى الحداثة "الكلاسيكية" ثم إلى "الحداثة المتأخرة")، بل تفسير عملية التحول في تكوين الهوية والثقافة السياسية باعتبارها نتائج حتمية لعملية تسارع اجتماعي متواصلة. وبالمحصلة، يتجلى تاريخ التحديث بما هو تاريخ سيرورة تسارع اجتماعي متواصلة تُحوّل المجتمع تدريجياً تبعاً لمراحل عديدة.

ومع ذلك، قد يعترض البعض، خاصة من يمتلكون معرفة بالنقاشات الحالية داخل النظرية النقدية، لأن غالبية النسخ المعاصرة المعترف بها للنظرية

النقدية - تلك التي دافع عنها "يورغن هابرماس" و"أكسل هونيث" - تقترح مقاربتين مختلفين لدور الشمولانية الاجتماعية. بالنسبة لـ"هابرماس"، يتجلى تكوين أي مجتمع في علاقاته التواصلية وفي نمط الحياة المُشَيَّد تواصلياً، بينما يردّها "هونيث" الى علاقات الاعتراف الاجتماعي التي تُشكل أساس المجتمع. لذلك، سنسعى في العنصر التالي إلى عرض تحليل العلاقة بين هاتين المقاربتين المنهجيتين ومفهوم التسارع الاجتماعي كما اقترحه "هارتموت روزا".

رابعاً. التسارع ونقد ظروف التفاعل الاجتماعي

1. التسارع ونقد ظروف التواصل الاجتماعي

يستهل "هارتموت روزا" تحليله للعلاقة بين المقاربات الثلاث بالانطلاق من فرضية مؤداها أن التسارع ليس مفهوماً أو جوهرًا، بل هو عملية أو سيرورة؛ فالتسارع الاجتماعي لا يُشكل أساس المجتمع الحديث أو تركيبته فحسب، بل هو قوته الدافعة ومنطقه أو قانونه الديناميكي الذي يحكم التغيير المتسارع في لدنه. وإذا كان "روزا" لا يُنكر دور ظروف التفاعل (التواصل أو الاعتراف) التي تشكل أساس المجتمع، فيعتبر بأنه لا يسعنا تحليلهما وفهمهما بشكل صحيح دون الأخذ في الاعتبار البعد الديناميكي والقوى الدافعة للتسارع الاجتماعي.

يفتح "هارتموت روزا" تحليله للعلاقة بين التسارع وظروف التواصل الاجتماعي بمسألة مشروع "يورغن هابرماس" حول التواصل الاجتماعي، وينطلق من فكرة مركزية مؤداها: أن الأمراض الاجتماعية تنبثق من منظور نظرية "يورغن هابرماس" المهمة عن الفعل التواصلية من التشوهات المنهجية لظروف التواصل. لذلك فهدف النظرية النقدية حسب "هابرماس" هو الكشف عن القوى البنيوية المسؤولة عن أحداث هذه التشوهات. وعلى الرغم من أن أغلب الدارسين لنظريته الاجتماعية وتفسيراته "الميتا لغوية" "méta

"linguistique" يجمعون -وهذا موقف "هارتموت روزا"- على أنها معقدة، إلا أن الفكرة الجوهرية التي تأسست عليها بسيطة ومقنعة للغاية، ومقتضاها: "إن السلطة مثل المعرفة ليست مُبررة إلا إذا أعيد بناؤها باعتبارها نتائج لخطاب معفى من علاقات السلطة المحرفة ... باعتبارها نتائج لخطاب صيغت حججه جميعها وتمت مناقشتها بالاعتماد على قاعدة "قوة الحجة الجيدة" دون سواها"¹³. بيد أن تطبيق هذه القاعدة ليس بالأمر الهين، وهي ترتبط بشكل ما بالبعد الزمني، وبالمحصلة بالتسارع كظاهرة شمولانية متغلغلة داخل الظروف الاجتماعية؛ فصياغة الحجج وتنقيحها والترجيح الجماعي بينها هي عملية تستغرق وقتاً طويلاً. وهو أمر نلاحظه بوضوح داخل المجال العلمي؛ فسرعة تسلسل صدور المحاضرات والمقالات مرتفعة جداً، وعدد المقالات والكتب والمجلات المنشورة مفرط إلى درجة أن من يؤلفون في هذا العصر الذي تسوده عبارة "النشر أو الموت" "*publish or perish*" "*publier ou mourir*" لديهم صعوبة كبيرة في إيجاد الوقت الكافي لتطوير حججهم بشكل صحيح. وفي المقابل، يتيه من يقرء في غياهب المنشورات المتكررة وغير المكتملة. ولننظر للأمر من زاوية العلوم الاجتماعية والإنسانية، نلفي أنه من الصعوبة بمكان الوصول إلى مقارنة مشتركة حول قوة الاقناع بالاعتماد على أفضل الحجج، حيث نغرق في سباق محموم ونندفع بشكل غير مسيطر نحو المزيد من المنشورات والمحاضرات ومشاريع البحث أين يقوم فيها النجاح على عوامل أخرى بعيدة كل البعد على مبدأ قوة الحجاج¹⁴.

والأمر ذاته يصدق على العالم السياسي، لا ينبغي اختزال العملية الديمقراطية في بعد واحد هو التواصل، لأن الممارسة السياسية عملية معقدة، لا تنفصل عن البعد الزمني، فبالنسبة لـ"هابرماس"، وكل من حدى حذوه بغرض صياغة مفاهيم جديدة عن ديموقراطية تداولية وتطويرها، لا يمكن أن

تكون قوة السياسة في الحداثة مشروعة الا إذا نتجت عن عملية ديموقراطية متشكلة من طبقات عديدة، تتطلب مساحات كبيرة والكثير من التنقيح والغربة، بحيث لا يتوقف ذلك عند نطاق كل الجماعات الاجتماعية، بل يتعداها الى المستوى الفردي؛ فكل فرد ينبغي أن تكون لديه الفرصة لصياغة مطالب وحجج. فضلاً عن أن سيرورة المداولة تتطلب تصفية تدرجية للحجج السياسية والصعود بها نحو قمة الهرم الاجتماعي والسياسي، الى أن تصبح قادرة على أن تتحول الى قانون يلزم الجميع.

والنتيجة التي يصل إليها "هارتموت روزا"، حتى وإن لم نتبنَّ موقف "هابرماس" حرفياً، فما يُميز الديمقراطية كعملية زمانية تستغرق وقتاً، هو كون تشكيل الإرادة واتخاذ القرار الديموقراطي (المداولات) يتطلب معرفة بالمجموعات المعنية والتعرف إليها وتنظيمها، ثم صياغة البرامج والحجج وتشكيل الإرادة الجماعية المشتركة. وأخيراً البحث المشترك عن أحسن الحجج وأكثرها قوّة وإقناعاً. في الواقع، تأخذ هذه العملية في الحداثة المتأخرة التي تتميز بنزعتها التعددية ما بعد ، الكثير من الوقت. كيف ذلك؟ ما يُميز هذا العصر هو وجود المزيد من الناس والمجموعات المعنية بالعملية الديموقراطية، والمزيد من وجهات النظر والحاجات المتنوعة التي ينبغي أن تؤخذ في الحسبان. بالإضافة الى ذلك، تصير النتائج، زيادة عن الظروف الوسيطة التي يُتخذ فيها القرار الديموقراطي السياسي، تصير نتائج معقدة أكثر فأكثر. وفي المقابل، وهنا مكنم المفارقة، تقلص باستمرار المصادر الزمانية المتاحة للسياسيين داخل سيرورة التسارع الاجتماعي. يجب اتخاذ المزيد من القرارات بسبب السرعة المتنامية للتجديد التكنولوجي الخاص بالعملات الاقتصادية والحياة الثقافية في فترة زمنية قصيرة، بمعنى أن القرارات تتخذ دائماً وفقاً لإيقاع يرتفع باستمرار، بحيث يسير كل من الأفق الزمني الخاص بتشكيل الإرادة

الديموقراطية التداولية، والفضاءات التكنولوجية والعلمية والاقتصادية والثقافية في اتجاهات مصطرعة.

إن النتيجة التي نخلص إليها من كل هذا: لم تعد قوة الحجة داخل الحداثة المتأخرة هي التي تقرر السياسات التي ينبغي اعتمادها والتمسك بها، بل على حد قول "هارتموت روزا": من "سلطة المستأثرين والمشاعرة العميقة والاستعارات والصور الموحية"¹⁵. لا نماري في أن الصورة اليوم أكثر سرعة من الكلمة، ومن ثم أسرع من الحجج، إن لديها تأثيرات فورية، على الرغم من أنها شكل من التعبير -إن صح القول- غير واعٍ. وعليه تضعف الحجة الجيدة في مواجهة الموجة الديناميكية لتشكيل الرأي. لذلك؛ ليست مجرد صدفة أن يلج نجوم الاعلام مثل "أرنولد شوازيغر" و"نيكولا ساركوزي" أو "سيلفيو برلسكوني" إلى السلطة، وإذا بدى لنا أن ثمة منعطفًا جماليًا سيميمن على الفضاء السياسي، فلأن النجاح في الانتخابات إنما يتم بفضل البعد "المرح" لدى السياسيين والأحزاب، لا بفضل تصورات عميقة وبرامج وحجج معقدة. لقد أصبحت الانتماءات الانتخابية مُتقلبة وديناميكية بشكل كبير: والحصول على الأغلبية من الأصوات يتم عبر "التلاعب" "manipulant" "spinning" بالحوادث لا التعبير عن الحجج¹⁶.

ويذهب "هارتموت روزا" في تحليله للعلاقة بين التسارع وظروف التواصل إلى أبعد من ذلك، إن الديمقراطية ذاتها قابلة هي الأخرى للتسارع بفضل سبر الآراء الالكتروني (الفوري) الذي يستخدم الحواسيب أو يتم عبر الإذاعة والتلفزيون، لقد أضحت بالإمكان تشكيل الآراء والأغلبيات السياسية خلال ثواني. بيد أن سبر الآراء لا يعكس، في المقابل، عملية المداولة التي يمكن أن تصاغ خلالها الحجج وتناقش وتنقح ويتم اختبارها. على خلاف ذلك تماماً، إنها تعكس ردات فعل عميقة وهي حصينة بشكل كلي ضد سلطة الحجة

الأفضل. وبالمحصلة أصبحت الكلمات، ومن ثم الحجج أكثر بطئًا بالمقارنة مع سرعة عالم الحداثة المتأخرة. لذلك لم يعد من الممكن بلوغ النماذج الرأسمالية المتعلقة بالتوزيع التي تُطالب بها العدالة؛ وإذا كان من الصعوبة بمكان تقييم الحجج لصالح أو ضد، بعض نماذج التوزيع، فإن هذه النماذج قد تم إنشاؤها وإعادة بنائها بسرعة كبيرة من طرف تدفق التيارات السوسيو-اقتصادية.

والنتيجة التي انتهى إليها "هارتموت روزا" -من خلال مساءلته لعلاقة التسارع وظروف التواصل- لئن كان يتقاسم مع "هابرماس" القلق الجوهري بخصوص اعتبار ظروف التواصل نقطة انطلاق مركزية للنظرية النقدية، فلا بد أن يعطي أهمية للبنى الزمانية لهذه الظروف، فالزمان، وبالأحرى، التسارع أضحى رقما أساسيا ضمن التحليل النقدي لظروف التواصل داخل المجتمعات الحداثية المتأخرة، ومهما كانت لقوة الحجة الجيدة القائمة على مبدأ المناقشة والديمقراطية التداولية من دور في القرارات السياسية فلا تنفك عن نقد ظروف الزمن والتسارع التي تحيط بها .

2. التسارع ونقد ظروف الاعتراف الاجتماعي

يستتبع "هارتموت روزا" نقده للعلاقة بين التسارع وظروف التفاعل، بمساءلة مفهوم الاعتراف كما رسم معالمه "أكسيل هونيث"، ومن المهم أن نشير بداية أنه بينما يتضمن تصور "هابرماس" لمجتمع عادل (وعقلاني) بوضوح رسم حدود نقدية للسرعة المتنامية داخل المجتمعات الحداثية، فإن النظرة التي دافع عنها "أكسيل هونيث" -في تحليله لظروف المجتمعات الممأسسة على نموذج الاعتراف المتبادل- ليست مقيدة زمانيا بالكيفية نفسها. رأينا أن التواصل يستغرق الوقت وهو في حاجة الى فترة زمنية لتشكيل الإرادة واتخاذ القرار الديمقراطي، أما الاعتراف، فهو على خلاف ذلك، على نحو لا يمكن للنظرية النقدية عن الاعتراف الاستمرار في تجاهل آثار التسارع الاجتماعي. ولئن

أمعن "أكسيل هونيث" ومناصريه في التغافل عن دوره، فهم يظلون عاجزين عن رؤية الطرق التي تتغير بها شروط الاعتراف الاجتماعي داخل المجتمع المعاصر وما ينتج عن هذا التغيير من آثار ثانوية.

من المفيد أن نذكر بداية بأن السرعة أصبحت -كمعيار أخلاقي مهيمن مسبقاً- أمراً طبيعياً في المجتمع الحديث، كما لو كانت المعايير والبنى الزمانية معطاة مسبقاً، ولم تعد تستكنه باعتبارها شيئاً تم تشكيله اجتماعياً وقابل للتفاوض سياسياً¹⁷. فهي تُستخدم في عملية التوزيع والجدارة والاعتراف واللاعتراف: ينتصر السريعون بينما يبقى البطيئون في الخلف وهم الخاسرون. وخلافاً لفرضية "أكسيل هونيث" التي بموجها يخلق اللا اعتراف البنيوي صوراً من الامتهان والغضب، من يعانون من اللا اعتراف في لعب السرعة نادراً ما يشعرون بأنهم يعانون من اللا عدل. فلما كانت المنافسة مرتبطة أساساً بالسرعة كما يحددها مفهوم "النجاح"، ولما كانت تعتبر المنافسة من طرف "هونيث" ذاته كآلية مشروعة للتوزيع على الأقل في الفضاء الاقتصادي، فإن منطق المنافسة والنجاح، في المقابل، هو قوة مركزية محركة للتسارع الاجتماعي. وبالتالي، أصبح الصراع من أجل الاعتراف في المجتمع الحديث هو أيضاً لعبة سرعة: فنحن نفوز بالتقدير الاجتماعي من خلال المنافسة والسرعة، وهي أساسية للاعتراف في المجتمع الحديث. ينبغي أن نكون سريعين ومرنين لكي نحظى (ونحافظ) بالاعتراف الاجتماعي، لذلك لا مرأ أن الصراع الذي نخوضه من أجل الاعتراف يُحرك بشكل متزامن ودون توقف عجلة التسارع.

ولتوضيح موقفه يعقد "هارتموت روزا" مقارنة بين النماذج المعاصرة عن الاعتراف وبين المخاوف من اللا اعتراف المرتبطة بالعصر قبل حدائي. ففي مدن المجتمعات الطبقيّة القائمة على أولوية الملكية، كانت نماذج التوزيع والاعتراف محددة مسبقاً: إن الوضعيات والمواقف والامتيازات والمكانة

والاعتراف التي يفوز بها شخص ما محددة مسبقاً عند لحظة ولادته، فسواء أكان ملكاً أو ذوقاً أو راهباً أو جندياً أو فقيراً، كلهم كان لديهم حقوقاً محددة مسبقاً داخل خريطة التوزيع المنظم بشكل أنطولوجي تقريباً مثل: المكانة والامتيازات والواجبات. لذلك كان من الممكن اذن حرمانهم من الكثير من الممتلكات والامتيازات، وهذا الحرمان يرجع أيضاً الى الكيفية المؤسسة أنطولوجياً التي يعمل بها العالم. وعليه فإن الصراع من أجل الاعتراف كان ممكناً في العالم الاجتماعي الكبير باعتباره صراعاً ضد البنى الاجتماعية الموجودة، ومن ثم لم يكن جزءاً من الانشغالات اليومية¹⁸.

خلافاً لذلك، لا تتحدد المكانة في العالم داخل المجتمع الحديث بصورة مسبقة، حيث تم إعادة رسم خريطة التوزيع والاعتراف بفضل المكانة التي يحققها شخص ما، بمعنى لم تعد المكانة معطى مسبقاً يتأسس أنطولوجياً، بل أضحت تتوقف هي والامتيازات والاعتراف والثروة التي قد يحصل عليها المرء على إنجازاته، بحيث يخضع توزيع "المكانات في العالم" -على الأقل من حيث المبدأ- الى معيار واحد هو الصراع التنافسي. وهذا تحديداً ما يُضَفِّ على العالم طابعاً ديناميكياً؛ فالحرف والبنى الأسرية، والتموقعات الدينية والسياسية، ليست موروثاً ببساطة عن الآباء، بل أضحت تعتبر كبذور للتجديد، إن الذكور، وحتى الاناث، هم أحرار في البحث عن وظائف الخاصة التي يرغبون فيها، وتأسيس أسرهم الخاصة، وتحديد مكانتهم الدينية والسياسية... الخ. وبالكيفية نفسها يتم توزيع الاعتراف بطريقة بعدية تتواءم مع الخريطة المكاناتية الناتجة عن لعبة المنافسة. وكنتيجة لذلك، تركزت المخاوف من اللا اعتراف حول الإخفاق في بلوغ المكانة المرجوة، قد لا يحصل الفرد على المكانة والوظيفية والزوجة والأطفال والبيت أو السيارة التي كان يروم تحقيقها. لذلك كانت

الصراعات من أجل الاعتراف -هي في الواقع- صراعات إما من أجل مكانة أحسن، أو لإعادة تقدير المزايا المرتبط بالمكانة.

بيد أنه، لأن كانت عملية التسارع الاجتماعي تغير من ايقاعها ووتيرتها بالانتقال من إيقاع تغيير اجتماعي داخل أجيال إلى إيقاع تغيير بين الأجيال، كما تم الانتقال من "حادثة كلاسيكية" إلى "حادثة متأخرة"، يغير الصراع من أجل الاعتراف شكله هو أيضاً مرة أخرى. لا يكفي اليوم بلوغ مكانة محددة مسبقاً في لعبة المنافسة: لا تدوم خلال حياة الفرد الوظائف والأسر، ولا الانتماءات السياسية أو الدينية، فلا يكفي أن يكون المرء مديراً أو رئيس تحرير أو أستاذاً في أعلى النظام الطبقي الاجتماعي، أو عامل نظافة أو حارس أمن أو بواب في قاعدة النظام الاجتماعي: في الحقيقة يوزع الاعتراف، وكل ما يتبعه مثل: الثروة والأمن والامتيازات... الخ بفضل الأداء والقدرة والاستحقاق، فالمدبر الذي يحصل على نتائج سيئة حسب التقارير الأنشطة الثلاثية، ورئيس التحرير الذي تتعثر مبيعاته، والأستاذ الذي لا ينشر بشكل منتظم في أحسن المجالات، كلهم يفقدون إمكانية باستمرار، ويمكن أن يتم الاستغناء عنهم عاجلاً أم آجلاً. وحتى إذا تم توظيف عمال النظافة والبوابين بعقود مؤقتة ويحصلون على مهام بفضل أدائهم. بهذه الطريقة يتزحزح الصراع من أجل الاعتراف عن مكانه، ولم يعد يتركز حول المكانة ولكن حول الأداء، لم يعد الاعتراف يعبر عن نجاح حياة، ولكن أضحي -خلافاً لذلك- عملاً يومياً، فانتصارات ونجاحات الأمس ليست ذات قيمة اليوم، والاعتراف لم يعد يتراكم، إنه في خطر دائم يفقد قيمته من طرف التدفق الثابت للحوادث وتحول المشاهد الاجتماعية. صحيح أن المكانة التي يبلغها الفرد مهمة للحفاظ أو الفوز بالتقدير الاجتماعي، لكن ليس في وسعه اعتبارها البتة إمكانات أكيدة، ولا يمكنه التأكد من أن هذه المكانة تبقى صالحة غداً¹⁹. وعليه لم يعد من الممكن بالنسبة للأفراد

الحفاظ -داخل هذا الصراع الديناميكي من أجل الاعتراف- على المكانة نفسها طوال الحياة، وكما نُعَلِّمُنا معطيات الدراسات حول الثقافة السياسية والتغيير الانتخابي، إن التقلب السياسي في تنامٍ، إذ لم يعد بنتهي الأفراد ببساطة الى تيار المحافظين أو اليسار أو مؤيدي الخضر، بل صار لديهم ميلاً الى تغيير الخيارات السياسية تبعاً لأداء الأحزاب والسياسيين²⁰. ويمكن ملاحظة مثل هذه الميول والتوجهات حتى في المجال الديني، إذ تتنامى بشكل كبير الرغبة في تغيير الانتماء الديني بفضل أداء المؤسسات الدينية وبغرض اجتراح مكانة صلبة ودائمة في مواجهة العالم. وإذا كان "أكسيل هونيث" قد لاحظ وجود ميلاً متنامياً نحو استنفاد الكينونة في الحداثة المتأخرة -استنقاذ يجد تعبيره في قابليته للقياس تجريبياً في المستويات المتنامية للاكتئاب والاحتراق النفسي، وهذا يرجع بشكل كبير الى الصراع من أجل الاعتراف الذي يتجدد كل يوم، وفي لدنه يمكن بلوغ مكانة أو مستوى أكثر ضماناً.

وكنتيجة لذلك، يتفاقم الصراع من أجل الاعتراف بشكل كبير داخل ظروف الحداثة المتأخرة، وهو يتزايد تبعاً لايقاع تغيير اجتماعي بين الأجيال. وعبر تغيير منطقته، بالانتقال من المنافسة "المكانية" إلى المنافسة "الادائية"، يواصل الصراع من أجل الاعتراف تهديد الأفراد بانعدام أمن دائم²¹، ويجعلهم عرضة لقدر كبير من الصدف، وبتنامي حالة عدم الجدوى والفاعلية. إن المعاناة من عدم الاعتراف هي نتيجة للبقاء في المؤخرة، لذلك يخشى الأفراد البقاء في المؤخرة أكثر من خشيتهم من أي شيء آخر في حياتهم؛ فبمجرد أن يولد الطفل يقع الوالدين فريسة للخوف من أن يكون ربما ابنهم "متخلفاً" بكيفية أم أخرى.

خلاصة القول، بينما يكون الصراع من أجل الاعتراف قوة محركة ثابتة للتسارع الاجتماعي ذاته داخل المجتمع التنافسي فهو يغير شكله بشكل كبير

تبعاً لتنامي سرعة التغيير الاجتماعي. لذلك لا يسعنا فهم منطق الصراع ما لم يتم الاهتمام بهذا البعد الزمني. وبالتالي تبقى النظرية النقدية لظروف الاعتراف مرتبطة بكيفية أصيلة بالنظرية النقدية عن التسارع الاجتماعي، وهي جزء جوهري من هذه الأخيرة.

خامساً. الخاتمة:

يعد "هاتموت روزا" من أهم ممثلي النظرية النقدية المعاصرة، ولئن اعتبر من المنظرين المجددين الذين أسهموا في رسم أسس نظرية نقدية معاصرة فلا يزال وفيًا للتقاليد التي رسمها آباء النقد الاجتماعي من الأجيال الأولى. فمشروعه الذي يروم صياغة نظرية نقدية جديدة، والتي غالبا ما يصفها في مواضع مختلفة من مؤلفاته بـ"المعاصرة"، تضع مفهوم "التسارع" في قلب التحليل النقدي الاجتماعي في المجتمعات الحداثية المتأخرة. وبذلك يكون قد أدرك الأهمية الفارقة للتسارع الاجتماعي في تشكيل ظروف التفاعل الاجتماعي وفهمها، سواء تعلق الأمر بالتواصل أو الاعتراف. إن كل فهم حقيقي للحدثة وسيرورات التحديث يمر ضرورة عبر توصيف تغييرات البنى والنماذج الزمنية داخل المجتمع. وهو الأمر الذي أغفلته النظرية النقدية عبر أجيالها المختلفة.

تغرف أهمية التسارع من المكانة التي يمنحها له "هارتموت روزا" داخل التحليل النقدي، وتتجلى تحديدا في قدرته على تغيير علاقتنا بالعالم، وبالآخرين والمجتمع، وعلاقتنا بالمكان والزمان، وبالطبيعة وعالم الجمادات أو العالم الموضوعي، والرهاني الحقيقي الذي ترفعه الذات داخل المجتمع الحداثي المتأخر يتعدى تقييدات المكاني إلى تحديات الزمني. والشاهد على ذلك، لم يعد يتوقف التقارب الاجتماعي والعاطفي على التقارب المكاني، فضلا عن أن الهوية الذاتية لم تعد خصيصة مميزة للفرد تتغير باستمرار حسب تغير ظروف

التفاعل الاجتماعي والمكانة التي يجد المرء نفسه فيها، لقد أصبحت الهوية في الحداثة المتأخرة هوية سائلة تتغير دون توقف.

يؤدي التسارع الاجتماعي إلى تغيير مفاهيمنا وتصوراتنا التي عهدناها عن الزمان والمكان، وينتج بدلاً عنها تصورات مستحدثة وأشكال جديدة من التفاعل الاجتماعي، ونماذج مستجدة من الذاتية، بحيث يغير مكانة الفاعلين الاجتماعيين في العالم وأساليب حركتهم وتوجهاتهم، الأمر الذي يؤدي إلى نشوء أمراض اجتماعية وأشكال متعددة للاغتراب.

أسس "هارتموت روزا" نسخته المعاصرة من النظرية النقدية على مفهوم "الحياة الجيدة"، فكل دراسة نقدية للممارسات الاجتماعية ينبغي أن تنبني عليها وعلى التصورات التي يتبناها الفاعلون الاجتماعيون عنها. فلا يمكن إرساء عناصر النظرية النقدية إذا لم تكن لدى الفاعلين الاجتماعيين فكرة نقدية عما يشكل حياة جيدة، وينبغي أن تكون الظروف الاجتماعية المحيطة بهم هدفاً جوهرياً للنقد الاجتماعي. لذلك لا ينبغي تبرير مفاهيم الحرية والاستقلالية التي تقرر صورة الحياة التي نريدها، بالاعتماد على أسس معيارية كونية، بل بالاعتماد على ظروف حياتهم التي تتوافق مع رغباتهم وطموحاتهم وقدراتهم.

لا ينفصل النقد الاجتماعي لظروف التواصل عن المحددات الزمنية وظاهرة التسارع، لذلك يضع "هارتموت روزا" مشروع "هابرماس" عن الفعل التواصل على محك النقد، وانتهى إلى أن أهم قاعدة بُنيت عليها نظريته وهي قوة الحجة الجيدة ذات صلة بالبعد الزماني، ومن ثم بالتسارع كظاهرة شمولانية متأصلة داخل الظروف الاجتماعية. كل حجة إنما تستغرق في صياغتها وتنقيحها والترجيح الجماعي بينها وقتاً وهي مشروطة به. لقد غدى التسارع ضرورياً في التحليل النقدي لظروف التواصل خلال المجتمعات

الحدائية المتأخرة، ومهما كانت لقوة الحجة الجيدة القائمة على مبدأ المناقشة والديمقراطية التداولية من دور في القرارات السياسية فلا تنفك عن نقد ظروف الزمن والتسارع التي تحيط بها.

كما لا ينفصل النقد الاجتماعي لظروف الاعتراف عن التسارع. فالصراع من أجل الاعتراف في المجتمع الحديث هو أيضاً لعبة سرعة: فنحن نفوز بالتقدير الاجتماعي من خلال المنافسة والسرعة، وهي أساسية للاعتراف في المجتمع الحديث. لابد أن نكون سريعين كيما نحظى بالاعتراف الاجتماعي، لذلك يحرك الصراع من أجل الاعتراف بشكل مستمر ودون توقف عجلة التسارع.

سادساً. قائمة المصادر والمراجع:

1. باللغة العربية:

كمال بومنيّر: التسارع، الاغتراب، والتصادي، قراءات في فكر هارتموت روزا، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية، وهران، بيروت، الطبعة الأولى، 2022.

1. باللغة الفرنسية:

- Hartmut Rosa, Accélération. Une critique sociale du temps, traduit de l'allemand par Didier Renault, Editions La Découverte, Paris , 2010, p 88.
- Hartmut Rosa, Aliénation et accélération. Vers une théorie critique de la modernité tardive, traduit de l'allemand par Thomas Chaumont, Editions La Découverte, Paris, 2012,-
- Hartmut Rosa, Rendre le monde indisponible, traduit de l'allemand par Olivier Mannoni, Editions La Découverte, Paris, 2020.
- Hartmut Rosa, Résonance. Une sociologie de la relation au monde, traduit de l'allemand par Sacha Zilberfarb, Editions La Découverte, Paris, 2018.

سابعاً. الهوامش:

¹- هارتموت روزا فيلسوف وعالم اجتماع ألماني.

²- فيري فابيان: التسارع بوصفه مرتكزا للاغتراب، ضمن، كمال بومنيير: التسارع، الاغتراب، والتصادي، قراءات في فكر هارتموت روزا، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية، وهران، بيروت، الطبعة الأولى، 2022، ص 68.

³- Hartmut Rosa, *Aliénation et accélération. Vers une théorie critique de la modernité tardive*, traduit de l'allemand par Thomas Chaumont, Editions La Découverte, Paris, 2012, P 58.

⁴- ناقش "هارتموت روزا" أثر التسارع في الهوية الذاتية أول مرة في مصنفه الضخم "التسارع، نقد اجتماعي للزمن"، حينما ناقش أسس الثقافة الحداثية، واعتبر أن التجربة الجوهرية في عصر الحداثة ترتبط بتسارع قاد إلى تضخيم العالم والحياة، ومن ثم قاد إلى تدفق التجربة الفردية، إذ ينعكس تحول النظام الزمكاني للمجتمع على أشكال العلاقة بالذات، على أنواع الشخصية نماذج الهوية السائدة، وتصبح نتيجة لذلك، العلاقات مع الذات متقلبة؛ لأنه حينما يتغير النظام الزمكاني تتغير في الوقت نفسه العلاقات مع الأشياء والعلاقات الاجتماعية بين الفاعلين، لأن "العلاقة مع الذات" و"العلاقة مع العالم" متشابكة بشكل كبير، فادراكنا لما نحن عليه، بمعنى ادراكنا لهويتنا، يتوقف بشكل مباشر على علاقتنا بالمكان والزمان ومع، من يحيطون بنا، وعلاقتنا بالأشياء ومحيطنا، وبالمحصلة، تتوقف على أفعالنا وخبراتنا. لذلك كان السؤال الجوهرية الذي طرحه في كتابه هو: هل يمكن للزيادة الكمية للتسارع باعتباره مبدأ أساسياً يُشكل الحداثة أن تؤدي إلى تحول نوعي في العلاقة بالذات؟ لقد أضحت الهوية، في المجتمع الحداثي المتأخر، لعبة يتم اختيارها بكل حرية، عبارة عن عرض تمثيل مسرحي للذات أين يمكن لكل شخص أن يظهر في أدوار متعددة، أي تغيير مستمر للموقف والمكانة، فلك فرد أن يوزع حياته داخل مجالات منفصلة ومختلفة، ويبني نمط حياته بطريقة سائلة، فهو يقرر عن طريق المداولة ظهوره في اللحظة والكيفية التي يعرض نفسه بها.

- Hartmut Rosa, *Accélération. Une critique sociale du temps*, traduit de l'allemand par Didier Renault, Editions La Découverte, Paris, 2010, p. 275- 277.

⁵- Hartmut Rosa, *Aliénation et accélération*. op. cit, p 61.

⁶- Ibid, p 62.

⁷ - Ibid, p 63.

⁸ - في حديثه عن الامراض الاجتماعي يرجع "هاتموت روزا" الى نظرية "كارل ماركس" عن الاغتراب. اذا كان عالم الإنتاج الرأسمالي ينتج برأي "ماركس" اغتراباً خماسياً للإنسان تجاه أفعاله والأشياء (منتجاته) والطبيعة، وغيره من الكائنات الإنسانية في العالم الاجتماعي، واتجاه ذاته، فان الحداثة الرأسمالية ستقود في النهاية الى خلق ظروف اجتماعية تحدد الدوات في علاقتها بـ"العالم". وهذا ما يدعوه بالاغتراب، سيغترب الناس تتجاه العالم الذاتي والموضوعي والاجتماعي. أما "هاتموت روزا" فيجعل للتسارع الاجتماعي نصيباً في توليد الاغتراب ليس تجاه أفعال الناس ذاتهم، ولا الأشياء التي يعيشون معها ويعملون بها، ولا الطبيعة والعالم الاجتماعي فحسب، بل اتجاه الزمان والمكان.

- Hartmut Rosa, *Rendre le monde indisponible*, traduit de l'allemand par Olivier Mannoni, Editions La Découverte, Paris, 2020, p 30- 31.

⁹ - Hartmut Rosa, *Aliénation et accélération*. op. cit, p 64.

¹⁰ - Hartmut Rosa, *Résonance. Une sociologie de la relation au monde*, traduit de l'allemand par Sacha Zilberfarb, Editions La Découverte, Paris, 2018, p.p. 32- 45.

¹¹ - Hartmut Rosa, *Aliénation et accélération*. op. cit, p 69.

¹² - Ibid, p 71.

¹³ - Ibid, p 73

¹⁴ - Ibid, p 74

¹⁵ - Ibid, p 76

¹⁶ - Ibidem.

¹⁷ - Ibid, p 79/

¹⁸ - Ibid, p 80/

¹⁹ - Hartmut Rosa, *Résonance. Une sociologie de la relation au monde*, op. cit, p. 251.

²⁰ - Hartmut Rosa, *Aliénation et accélération*. op. cit, p 82

²¹ - أوليفي فوارول : الاغتراب والتصادي: ملاحظات حول النظرية النقدية للحداثة عند هاتموت روزا، ضمن، كمال بومنيير: التسارع، الاغتراب، والتصادي، قراءات في فكر هاتموت روزا، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية، وهران. بيروت، الطبعة الأولى، 2022، ص 139.